اسم المادة: علاقات دينية أثناء العمل

من سلسلة: فقه الدعوة

لفضيلة الشيخ: د. أحمد سيف

Way2allah.com

way2allahcom

إنتاج فريق التفريغ بشبكة الطريق إلى الله

اسم المادة: علاقات دينية أثناء العمل
من سلسلة: فقه الدعوة
لفضيلة الشيخ: د. أحمد سيف

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمد لله عدد ما خلق، الحمد لله ملء ما خلق، الحمد لله عدد ما في السماوات وما في الأرض، الحمد لله عدد ما أحصى كتابه، الحمد لله على ما أحصى كتابه. الحمد لله عدد كل شيء، والحمد لله ملء كل شيء، اللهم صلّ على محمدٍ وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

من القضايا المهمة اللي احنا أُمرنا إن احنا نقيمها في حياتنا، هي إقامة علاقات شرعية، إقامة علاقات مجتمعية مهمة، دينية قبل أن تكون دنيوية، يعني ربنا –سبحانه وتعالى– أمرنا أن نقيم الدين، وللأسف الواحد بيشوف في الحياة الاجتماعية أو في حياة الناس إن اللي شغالين في الدين والعاملين للدين بيشوف إن العلاقات غالبها مبنية على المصلحة والعمل، يعني فيه تصور للعلاقات ينبغي إن احنا يكون عندنا تصور شرعي، إن ربنا –سبحانه وتعالى– جعل هناك علاقة اسمها علاقة الأخوة "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ" الحجرات:١٠، دي علاقة، وكان فيه دورة اسمها دورة الأخوة مسجلة على الساوند كلاود لو تسمعوها.

نقطة إن الدين أنشأ علاقات بين الناس أنشأ علاقات بين المسلمين، والعلاقات دي مبنية على الإسلام، وأنشأ علاقات بين المؤمنين والعلاقات دي مبنية على الإيمان، وأنشأ علاقات بين العاملين، يعني الناس اللي بتشتغل للدين وبتجتهد عشان تقرب من ربنا ومجتهدة وباذلة من عمرها وباذلة من وقتها وباذلة من فلوسها وباذلة من فكرها عشان تقرب من ربنا وتنفذ كلام ربنا وتقيم أمر ربنا –سبحانه وتعالى– في حياتها، وتنشر كلام ربنا –سبحانه وتعالى– في وسط الناس، الناس دي بينها علاقات، هذه العلاقات ينبغي أن تكون أيضًا مضبوطة بضوابط الشرع.

احنا اتكلمنا على الاستغناء بالوحي والاستعلاء بالوحي ومعيارية الوحي، إن احنا ينبغي إن تكون علاقتنا مبنية على الشرع، كما إن عبادتنا منطلقها الشرع، وكمان أفكارنا وتصوراتنا ينبغي إنها تكون منطلقة من كتاب الله وسنة النبي –صلى الله عليه وسلم–.

أحيانًا كتير احنا بنشوف العلاقات بتبقى مبنية على المادية، اللي هو إنت فيه شغل، أنت فيه صداقة، الجماعات قررت إنها تعمل علاقات مبنية على اللي هينضم للجماعة، الدولة قررت إنها تعمل العلاقات اللي هي مبنية على المواطنة، الناس بتعمل علاقات مبنية على المصلحة، المجتمع الحياتي غصب عن الناس بسبب إن فيه حاجات كتير وملهيات كثيرة أو مشاغل كثيرة بقت العلاقات فيها نوع من أنواع الانحسار، بقت العلاقات ضيقة جدًا وبقت العلاقات مبنية على الشغل، يعني إيه شغل؟ يعني مثلا ممكن تجد إن ناس بما إنها بتشتغل مع بعض فبقوا أصحاب وبقوا حبايب وبقوا أخوات، ولا شك إن الشغل بيقرب الناس من بعضهم لبعض، لكن علاقات الدين مش مبنية كده، يعني أخوة

الدين مش مبنية على الشغل، إن أحيانًا كتير احنا ممكن نكون بنشتغل مع ناس هم مش الأقرب لنا، وممكن يكون أقرب الناس لنا أو الناس اللي بيننا وبينهم أخوة أقوى وإيمان أعلى ممكن يكون مش بنشتغل مع بعض، احنا عايزين نفصل ما بين الشغل وما بين العلاقات، وعايزين نعرف إيه قبل إيه؟ لإن أحيانًا كتير العلاقات بتُدَمَّر بالشغل وأحيانًا كتير بالعلاقات بتنفسخ بل ممكن أحيانًا كتير بيُصَد عن سبيل الله –سبحانه وتعالى– بسبب سوء المعاملات أثناء الأعمال المتفاوتة سواء العمل الديني أو العمل الدنيوي، وربنا –سبحانه وتعالى– قال: "وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ" النحل:٩٤، ده كان في العقود؛ إن واحد أعطى واحد عقد اتفق مع واحد اتفاق وبعد ما اتفق بدأ يحصل نوع من أنواع التغير في الاتفاق بسبب إن واحد فيهم لاح له فرصة أفضل، عارفين قول الله –سبحانه وتعالى–: "وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ" النحل:٩٢، يعني واحدة كده متعلمة تغزل ومعاها إبرة الغزل ومعاها الخيط الطويل اللي بتغزل به وبعد ما عملت غزل شكله حلو كده، مثلا عملت مفرش حلو كده قامت شدة الخيط بعد ما قعدت مثلا أيام طويلة تغزل الخيط ده قامت شداه ورجع خيط تاني إيه الجنون ده؟ طب انت ضيعتي كل اللي اتعمل ده كله عشان شدة الخيط دي، فربنا –سبحانه وتعالى– بيقول إن أحيانًا الإنسان ممكن يبني دين يبني دين يبني دين يبني دين وفي لحظة من اللحظات هو يشد الخيط فيحصل صد عن سبيل الله بسبب "أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ"، يعني يلوح له فرصة، هذه الفرصة تخلي عينه ينشغل، عارفين واحد اتفق اتفاق مثلا مع مسجد وبعد كده قابل واحد تاني، فقال له ما تيجي تخطب عندنا في المسجد، قال له والله ده أنا عندي خطبة واتفقت مع المسجد الفلاني يقول له يا عم ده مسجد صغير، ده مسجدنا كبير والعدد فيه كبير "أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ"، يعني فيه عدد أكبر، يعني فيه مساحات أكبر، يعني فيه مساحات من نفع أكبر، حتى في الدين؟ حتى في الدين.

فربنا بيقول: "إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ"، ربنا –سبحانه وتعالى– ذكر إن ده فيه صد عن سبيل الله، عارفين "فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ" النحل:٩٤، إيه اللي خلاه يبقى ده صد عن سبيل الله؟ صد عن سبيل الله بسبب إن واحد مش واخد إن العلاقة ممكن تُدَمَّر وإن إنسان ممكن يضيع وإن إنسان ممكن ينتكس وإنسان ممكن دينه يتغير تمامًا لأجل أن هناك من نقض العهد معه، وكله باسم الدين وكله بيشتغل دين وكله أصل احنا مصلحة الدين.

فيا جماعة مهم إن احنا نفهم هي العلاقات في الدين بتنشأ ازاي؟ وإيه ترتيب العلاقات في الدين؟

لا يخفى عليكم إن ربنا –سبحانه وتعالى– قال: "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ" إن يا جماعة فيه حاجة اسمها أخوة الإسلام، أخوة الإسلام إن بين كل الناس المسلمين اللي شهدوا إن لا إله إلا الله محمد رسول الله علاقة الإسلام، هذه علاقة متينة هذه علاقة قوية فيها الولاية وفيها النصرة، "إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ" المائدة٥٥:٥٦.

المسلمون فيه بينهم وبين بعضهم نوع من أنواع الرابط، نوع من أنواع التناصر، نوع من أنواع الحب، نوع من أنواع التولي، الناس بتتولى بعضهم البعض وطبعًا ده مش معناه إنه يتولى واحد على الظلم، "انْصُرْ أخاكَ ظالِمًا أوْ مَظْلُومًا. فقالَ رَجُلٌ: يا رَسولَ اللَّهِ، أنْصُرُهُ إذا كانَ مَظْلُومًا، أفَرَأَيْتَ إذا كانَ ظالِمًا، كيفَ أنْصُرُهُ؟ قالَ: تَحْجُزُهُ –أوْ تَمْنَعُهُ– مِنَ الظُّلْمِ؛ فإنَّ ذلكَ نَصْرُهُ"[1] إنك توقف واحد عند حده وإن تقول له لأ، اتق الله، ده نوع من أنواع المناصرة له، لإنك انت بتحبه وماتحبش إن هو يظلم الناس، فهنا نقطة علاقة المسلمين بعضهم ببعض علاقة مهمة جدًا وعلاقة العاملين للدين خاصة؛ بما إننا عاملين دورة خاصة والناس كلها شغالة للدين، اللي عايز يستزيد في الموضوع يسمع سلسلة الأخوة وهي بتفرق ما بين أخوة النسب وأخوة الوطن وأخوة الأرض وأخوة القبيلة وأخوة العمل وأخوة الإسلام العامة، وإيه الفرق اللي جاء به الإسلام.

[1] صحيح البخاري

لكن خليني النهاردة وأنا بتكلم في العلاقة بالناس اللي شغالة في الدين شوفوا ربنا –سبحانه وتعالى– بيقول: "شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ۖ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ" الشورى:١٣، ربنا –سبحانه وتعالى– تكلم على مسألة إن الناس لا تتفرق، مسألة إن المسلمين أو العاملين للدين أو الأنبياء ربنا –سبحانه وتعالى– أمرهم إن هم يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه، ربنا –سبحانه وتعالى– وصى سيدنا نوح ووصى سيدنا إبراهيم ووصى سيدنا موسى ووصى سيدنا عيسى ووصى سيدنا محمد –صلى الله عليه وسلم–، خدوا بالكم فيه تفاوت كبير زمني ما بين سيدنا نوح وسيدنا محمد –صلى الله عليه وسلم–، في تفاوت كبير تشريعي ما بين سيدنا إبراهيم وسيدنا موسى –عليهم جميعا الصلاة والسلام– وما بين سيدنا عيسى، ومع ذلك ربنا بيقول: أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ، يعني اعملوا به واجعلوه قائمًا. لكل نبي من هؤلاء الأنبياء طريق في إقامة الدين، غير أنهم جميعًا يتفقون في الأصول والكليات على مر العصور، يعني كلهم مؤمنون بالله –سبحانه وتعالى– وأسمائه وصفاته، كلهم يؤمنون بالكليات الخمسة الضرورية، كلهم جاؤوا بحسن الخلق، كلهم جاءوا بعبادة الله وحده لا شريك له، كلهم جاءوا بالحاجات التي يستقيم البشر عليها، كلهم بالكلام عن الله وعظمة الله، كلهم جاءوا بالكلام عن حقائق الدنيا وعن الجنة والنار والدار الآخرة، لكن كل نبي من الأنبياء كان له تشريع مختلف، وكان له طريق مختلف عن غيره، ربنا بيقول للأنبياء لا تتفرقوا فيه، يعني لا تتفرقوا في الدين، والتفرق يا جماعة عكس التجمع، وأصل التفرق تباعد الذوات واتساع المسافة بين الناس وبيستعار التفرق لقوة الاختلاف في الآراء، وربنا –سبحانه وتعالى– بيحذر الأنبياء ألا يتفرقوا في الدين، التفرق بين الأمة بالإيمان بالرسل أو الكفر، حتى لا يختلفوا على الأنبياء، التفرق بين الذين آمنوا بأن يكونوا نحلًا وأحزابًا وشيعًا وأفرادًا، كل واحد بيقاتل ويعادي ويوالي على جماعته وعلى تصوره وعلى دولته وعلى فكره وعلى منهجه دون أن يعتبر إن الجميع أمة واحدة، إن احنا أُمرنا إن احنا نقيم الدين ولا نتفرق فيه.

محتاجين يا جماعة نعرف احنا ازاي هنتجمع؟ بعض الناس متخيل إن ممكن نتجمع على الأشخاص، يا جماعة الناس لن تتجمع على الأشخاص، يعني التجمع بيبقى له درجات، فيه تجمع على الشخص وفيه تجمع على العمل وفيه تجمع على الفكرة يعني دول تلات مراتب من مراتب التجمع.

فيه ناس متخيلة إن الناس عشان تتجمع محتاجة تتجمع على شخص معين يبقى هو ده قائدهم أو ده رئيسهم أو ده اللي مفروض إن الجميع يُذعن له ويسمع له ويطيع، ده كان موجود أيام النبي محمد –صلى الله عليه وسلم–، بعد موت النبي –صلى الله عليه وسلم– صعب بل يستحيل الناس هتعرف تتجمع على شخص واحد من هذه الأمة إلا أن يكون ده أمر قدري زي مثلًا مهدي آخر الزمان، زي سيدنا عيسى آخر الزمان، لكن مسألة إن حد هيقوم مقام النبي محمد –صلى الله عليه وسلم– كفرد هذا يستحيل، الصحابة نفسهم مجتمعين يا جماعة كل الصحابة استطاعوا إن هم يؤدوا وظيفة النبي –صلى الله عليه وسلم–، يعني النبي –عليه الصلاة والسلام– كان بيؤدي وظيفة أمة لوحده، فلما النبي مات النبي –عليه الصلاة والسلام– مهمة النبي –عليه الصلاة والسلام– أبو بكر شال جزء منها وعمر شال جزء منها وعثمان شال جزء منها وابن مسعود شال جزء منها وخالد بن الوليد شال جزء منها وأبو هريرة شال جزء منها، كل واحد على قدره.

ازاي احنا النهاردة نقدر نقول نحط مكان النبي محمد –صلى الله عليه وسلم–، طيب إذا احنا مش هنقدر نجمع الناس على فرد، هيتجمع الناس على شغل معين؟ يعني هل الناس كلها هتبقى مثلًا حفظة قرآن؟ هل الناس كلها هتبقى مثلًا دعاة إلى الله على الطريقة المنبرية مثلًا؟ هل الناس كلها ينفع تبقى مثلًا عاملين للدين بطريقة مثلًا إن هم في طريقة التزكية؟ هل الناس كلها تنفع تبقى مجاهدين؟ هل الناس تنفع كلها تبقى قضاة؟ لا طبعا ده وكذلك هيستحيل أيضًا، لذلك التجمع الأصيل الذي جمّع به النبي –صلى الله عليه وسلم– أصحابه كان على فكرة، كان على تصور الوحي، كان على الإيمان، كان على مجملات الإيمان، كان على أصول الدين.

لا تتفرقوا في إقامة الدين بأن ينشط البعض ويتخاذل البعض، لا تتفرقوا في إقامة الدين بان يتنابز هذا ويتدابر هذا مع هذا، "لا تَحَاسَدُوا، ولا تَنَاجَشُوا، ولا تَبَاغَضُوا، ولا تَدابَرُوا"[٢] النبي –عليه الصلاة والسلام– بيعلم الصحابة ازاي يبقوا إيد واحدة.
لما الصحابة قالوا احنا عايزين نعرف إيه أعظم عمل نتقرب به إلى الله –سبحانه وتعالى–؟ سؤال بيسأله الصحابة بينهم وبين بعض وهم قاعدين بيقولوا إيه أفضل عمل نتقرب به إلى الله –سبحانه وتعالى–؟ فنزل قول الله –سبحانه وتعالى–: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ *كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ" الصف٢:٣، قال لهم لو انتم عايزين تعرفوا أعظم عمل عند الله –سبحانه وتعالى– "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ" الصف:٤، قال لهم ربنا –سبحانه وتعالى– بيحب إن الناس تكون اللي بتشتغل للدين –صف ده يا جماعة عارفين النبي –عليه الصلاة والسلام– بيقول: "أَلَا تَصُفُّونَ كما تَصُفُّ المَلَائِكَةُ"[٣]، فيه سورة في القرآن اسمها سورة الصافات وفيه سورة في القرآن اسمها سورة الصف، صف الصلاة وصف الملائكة في العبادة وصف الجهاد في مواجهة الأعداء، دول تلات صفوف ربنا –سبحانه وتعالى– ذكرهم في كتابه الكريم، الملائكة تصف في عبادة الله –سبحانه وتعالى– كلهم صف واحد، وسورة الصف اللي ربنا تكلم فيها –سبحانه وتعالى– عن مسألة إن المسلمين بنيان مرصوص، يعني إيه بنيان مرصوص؟ قالوا مرصوص يعني طوبة جنب طوبة محطوط مرصوص في رصة واحدة، وقيل مرصوص يعني عليه طبقة من الرصاص، يعني اللي هو مصفح اللي هو مفيش حاجة تخترقه، اللي هو قوة تماسك غير عادية، الشيطان مايعرفش يدخل وسط الناس، الشيطان مايعرفش يدخل وسط العاملين للدين.

النهاردة العلاقات بقت مهترئة جدًا اللي هو أي حد بيتصيد للناس خطأ، اللي اشتغل للدين مفروض إن هو يكون يقولوا أهل السنة هم أعلم الناس بالحق، وأرحم الناس بالخلق. أعلم الناس بالحق يعني أكتر واحد يعرف ربنا –سبحانه وتعالى–، أكتر واحد نفسه يقرب من ربنا –سبحانه وتعالى–، هم أعلم الناس بالله –سبحانه وتعالى–، وأكتر واحد بيفكر في سنن الله في المعاملة، وأكتر واحد بيفكر في رحمة الله وفي عزة الله وفي قوة الله، هم أعلم الناس بالحق –سبحانه وتعالى–، وهم أيضًا أرحم الناس بالخلق، هو بيرحم الناس، بيرحم ضعف الناس وعجز الناس، وإذا احنا بنرحم الضعيف وبنرحم اللي بيعمل معصية وبنتساهل وبنترفق مع الراجل اللي بيعمل فاحشة واللي بيتكبر واللي بيطغى ونقول إن الدعوة محتاجة حسن خلق ومحتاجة رفق ومحتاجة لين فما بالنا إذا أخطأ أحد من العاملين للدين الناس بتمسك الطبلة والصاجات، ليه لما واحد يخطئ من العاملين للدين الناس بتتعامل معاه تعامل في غاية الشراسة، يا جماعة رفقًا هونوا على أنفسكم.
ينبغي إن يكون العلاقات صف؛ يعني المؤمن أخو المسلم يكف عنه ضيعته ويحوطه من ورائه، لو احنا شفنا خطأ أو شفنا عيب نستره، وده مش معناه إن الناس اللي بتشتغل للدين إنها تعمل نوع من أنواع التحزب ضد المجتمع، وإن كل ما واحد من الناس يحصل بينه وبين فلان خطأ معين أو مشاحنة معينة الناس تتهمه إن ده عدو للإسلام وعدو للدين، لا لا لا مش كده خالص، كل العلاقات مع المسلمين ينبغي إنها تكون علاقات في غاية النقاء وفي غاية سلامة الصدر وفي غاية القوة والتماسك، دي علاقة عامة وبالذات وبالأخص العلاقة مع الناس اللي شغالة للدين.
طب افرض هو بيشتغل في الدين في حاجة أنا ما بعرفش أعملها، أو أنا ما شفتهاش، أو أنا مش عارفها أو حاجة مختلفة تمامًا عن اللي أنا بعملها، أحيانًا كتير الناس بتفاجأ إن هو بما إن فلان مثلًا واحد بيشتغل في الدعوة فيبدأ يسفه من الناس اللي بتشتغل في العلم، واحدة بتشتغل في التعليم فتبدأ مثلًا تسفه من الناس اللي بتشتغل في الفقه، واحدة مثلًا بتدرس أصول الفقه فتبدأ تسفه من الناس اللي بتدرس تجويد، وده مُشاهَد بطريقة غريبة، يعني كل واحد عنده تضخم في المفاهيم عنده تضخم في الثغر اللي هو واقف عليه، متخيل إن الدين كله هو الثغر اللي واقف عليه، لدرجة إن فيه واحدة مثلًا ممكن تكفر واحدة مثلًا بتقرأ الفاتحة بطريقة خاطئة، فتقول لها لا انت صلاتك كلها

[٢] صحيح مسلم
[٣] صحيح مسلم

باطلة، وانت ما ينفعش تصلي أصلًا، فتحس إن فيه نوع من أنواع الغلو الشديد "لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ" النساء:١٧١، عدم وضع الشيء في موضعه وفي معياره، طبيعي إن انت ممكن تقرأ مثلًا لعالِم من علماء التفسير هو بيتكلم إن العلم الأساسي الرئيسي الأصيل الذي ليس بعده ولا قبله؛ علم التفسير، وبعدكده تنتقل مثلًا لعلم الحديث تجد إن واحد مثلًا عمل كتاب في أهمية علم الحديث وبيقول إن ده هو العلم الأصيل الذي لا تقوم الدنيا إلا به وهو أفضل العلوم، وبعدكده تنتقل لواحد مثلًا بيتكلم في علم العقيدة وبيتكلم عن أسماء الله الحسنى، فتجد إن هو عامل مقدمة، طبيعي إن أحيانًا ربنا –سبحانه وتعالى– بيشرح صدر كل إنسان إن هو يعرف أو إن هو يشعر بأهمية ما يفعل، ويشعر به باهتمام بالغ وإنه يشعر إن الحاجة اللي بيعملها دي حاجة عظيمة مهمة، وده أحيانًا بيكون مهم له لنفسه عشان هو يعرف يستمر، لكن هل هذه الحقيقة؟

يا جماعة الدين الوحي، الدين العظيم، الدين الشامل، الدين للعالمين، الدين يسع الجميع، كل فرد من أبناء الأمة له دور في الدين، وكل واحد بيشتغل في الدين له منا التقدير، وكل واحد بيشتغل في الدين لابد إن احنا نضعه في موضعه، فكرة التنابز بالألقاب وفكرة العلاقات المهترئة وفكرة التصيد للأخطاء وفكرة إن كل واحد ماسك في باب من الأبواب ومتخيل إن الدين كله هو الباب ده، وإن الباقي كله مبتدعة وضُلَّال وفجرة وما يعرفوش حاجة، وأحيانًا بيصم ناس سبقته في العمل، شوفوا ربنا –سبحانه وتعالى– وهو بيثني على المهاجرين والأنصار قال: "وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ" الحشر:١٠، إن واحد قلبه نضيف، واحد بيدعي لنفسه وبيدعي للناس اللي شغالة في الدين، وبيدعي للذين سبقوه بالإيمان، ربنا يثني على هؤلاء الذين سبقونا بالإيمان، إن واحد عارف إنه امتداد.

شوفوا النبي –عليه الصلاة والسلام– الرقيق، النبي –عليه الصلاة والسلام– بيعلم الصحابة معنى خطير؛ معنى التكامل في الدين، بيقول لهم: "إنما مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل بنيان، إن واحد بيبني بنيان، بنيان أحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة، لبنة يعني طوبة، النبي –عليه الصلاة والسلام– يقول إن الأنبياء أقاموا مبنى الدين، كل واحد من الأنبياء على اختلاف أفكار، على اختلاف تشريعات، على اختلاف زمان، على اختلاف المكان، على اختلاف الأقوام، على اختلاف البدايات، واحنا كنا بنتكلم في البيان الدعوي كل نبي من الأنبياء ازاي واجه مشاكل قومه؟ شوفوا النبي –عليه الصلاة والسلام– بيقول إن موضعي من الأنبياء إن أنا الطوبة الأخيرة في بناء الدين، وإن بالنبي –صلى الله عليه وسلم– اكتمل الدين، بيقول إنما أنا موضع لبنة، تخيلوا يا جماعة إن النبي –عليه الصلاة والسلام– بيقول أنا موضع لبنة، يعني إذا كان النبي –عليه الصلاة والسلام– النبي اللي هو أفضل من مشى على الأرض بيقول أنا بالنسبة لدعوة الأنبياء هي إكمال لدعوة الأنبياء، هي تمام لدعوة الأنبياء، هي استمرار لدعوة الأنبياء، هي إحياء لسنن الأنبياء من قبلي، هي إقامة لسنن الفطرة مرة أخرى، هي تكميل للأخلاق. هي إعادة بعث رسالة الأنبياء من قبل، هي إعادة التوحيد إلى نفوس الخلق.

تخيلوا يا جماعة النبي –عليه الصلاة والسلام– بينظر إلى نفسه كإنه موضع لبنة، وكلمة لبنة يا جماعة يعني حاجة بتتحط جوه بناء، أحيانًا كل واحد فينا ممكن يتخيل نفسه إن هو البناء، أو ممكن يتخيل جماعته أو مجتمعه أو الحاجة اللي بيعملها إن هي البناء، وبيمحور العالم كله حواليها، هو مش شايف أي حاجة في الدين إلا من خلال بنائه، يعني عارفين ربنا –سبحانه وتعالى– في غزوة أحد لما قال: "وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ" الأنفال:٤٦؟ وقال: "وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ" آل عمران:١٥٢، ترتيب الآيات: رأوا ما يحبون؛ واحد شاف حاجة بيحبها في وقت ما كانش ينفع يشوفها فيه، هم رأوا الغنائم في وقت المعركة، فلما رأوها بدأ يحصل نوع من أنواع الهرج والمرج، بدأوا يخالفوا كلام النبي –عليه الصلاة والسلام–، بدأ يحصل تنازع لما حصل تنازع بدأ يحصل فشل. "حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ" ترتيب الآيات جاب النهاية الأول وبعدكده الخطوة اللي قبل النهاية، وبعدكده الخطوة اللي قبلها وبعدكده الخطوة اللي قبلها. ترتيب الأحداث إن الأول هم رأوا ما يحبون،

ثم عصوا ثم تنازعوا ثم فشلوا. لكن ربنا –سبحانه وتعالى– جاب النهاية الأول؛ النهاية فشل. ليه النهاية فشل؟ لإن كانت البداية إن هم رأوا ما يحبون فعصوا فتنازعوا.

إن يا جماعة لا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم. إن احنا أُمرنا بإقامة الدين، أُمرنا بالاجتماع بالدين، أُمرنا بإقامة سورة الصف، أمرنا بإقامة علاقة الصف علاقة البنيان المرصوص، ده نوع العلاقة ولا قوة العلاقة؟ يعني هل طوبة جنب طوبة جنب طوبة دي بتعمل صف؟ والا طوبة جنب طوبة متماسكة بينهم مِلاط؟ عارفين الأسمنت اللي بيربط الطوب ببعضه فيه قوة تماسك يمنع إن أي حد يخترق، يمنع إن أي حاجة لو رصاصة، لو حاجة مخترقة بقوة رهيبة قذيفة بتُقذَف لا تخترق هذا البناء. ليه؟ لإنه متماسك أشد التماسك.

النهاردة احنا بنشوف علاقات للأسف مهترئة، والناس بقت –إلا من رحم الله– سهل إن أي حد يتكلم على أي حد، وده بقى منتشر حتى وسط العاملين للدين، ينبغي إن أهل الدين يكون عندهم من الورع من التقوى من الحذر في الكلام في بعضهم البعض، من إن هو يحط نفسه مكان الآخرين، إن هو يلتمس الأعذار، إن هو يستر العورات، إن هو يحوطه من ورائه، إن هو يبقى فيه قوة تماسك، إن هو يدعي للناس، إن هو يفهم طبيعة الناس، إن هو يقدر الآخرين، لكن للأسف احنا بنشوف تسفيه، بعض الناس بيسفه من أي ثغر هو مش واقف عليه، من أي عمل هو ما بيعملوش، من أي حاجة هو ما شفهاش قبل كده، فتجد اللي مهتم بالعلم بيحتقر اللي بيعمل في الدعوة، اللي بيعمل في الدعوة بيحتقر أو بيسفه من اللي بيعمل في الأعمال الخيرية، واللي بيعمل أعمال خيرية يرى إن اللي قاعد يشتغل في العلم ده ما بيعرفش حاجة، بل حتى في داخل العلم نفسه اللي بيدرس كذا يسفه من اللي بيدرس كذا، وكل واحد بيقرأ كتابين زيادة على اللي قبله وبيبدأ يقول لك ده فلان ده بيفهم إيه؟ وفلان ده بيعرف إيه؟

أين الدين في هذه العلاقات؟ وأين الدين في هذا الدين؟ الاختلاف يا جماعة في الفروع مختلف، يعني اختلاف في الفروع في الفقه، ده من قول النبي –صلى الله عليه وسلم–: "مَن يُرِدِ اللَّهُ به خَيْرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّينِ"[٤]، لكن مهم إن احنا نعرف العلاقات بين المسلمين، ومهم نعرف العلاقات بين العاملين للدين، مهم نعرف يعني إيه أخوة؟ ويعني إيه صف؟ ويعني إيه جماعة؛ السواد الأعظم؟ ويعني إيه أمة الإسلام؟

شوفوا دي مصطلحات صكت يعني مصكوكة شرعيا، يعني هذه مصطلحات تكلم بها النبي –صلى الله عليه وسلم– وجعل الله لها معاني واضحة خوطب بها الناس، إن لابد للدين من حملة يقومون به، كل واحد من المسلمين مسؤول بين ايد ربنا –سبحانه وتعالى– انت فين؟ انت موضع لبنة؟

عارفين لما يكون عندنا زلط وطوب وأسمنت ورمل بس احنا ما عرفناش نقيم مدرسة، ليه؟ أصل الزلط لوحده والطوب لوحده والرمل لوحده والأسمنت لوحده والمدرسين لوحدهم والطلاب لوحدهم وكل حاجة لوحدها، ليه؟ لإن احنا مش عارفين نقيم علاقات قوية، لإن احنا مش عارفين نستفيد من بعضنا البعض، العالم العربي هو أغنى دول العالم، ومع ذلك انتم بتشوفوا العالم العربي في وسط الأمم أو في وسط الشعوب العامة لا تجد إن هو الأقوى ولا هو الأعلم، مع إنه عنده إمكانيات يعني أقوى ثروة سمكية وأكثر بترول وأكثر دهب وأحسن موقع في العالم وكمية ثروات طبيعية وكمية طاقات بشرية وكمية وكمية لكن فين هؤلاء في التقدم وفي مسيرة التقدم؟ ليه؟ مفيش علاقات قوية، إن الناس سهلة إنها تبيع أي حاجة في أي اتجاه، يا جماعة احنا أُمِرنا إن احنا نقيم الدين، أُمِرنا إن احنا نقيم علاقات الدين، أول عائق وأخطر عائق في سبيل إقامة الدين هو التفرق، التفرق، النبي –عليه الصلاة والسلام– يقول: "إنَّ الشَّيْطانَ قدْ أيِسَ أنْ يَعْبُدَهُ المُصَلُّونَ في جَزِيرَةِ العَرَبِ، ولَكِنْ في التَّحْرِيشِ بيْنَهُمْ"[٥]. لذلك مهم إن احنا نقيم علاقات قوية ما نسمحش لشيطان يدخل بين المسلمين، ما نسمحش للشيطان إن هو يلعب بالعاملين للدين الكورة، ما نسمحش إن احنا علاقاتنا تبقى علاقات مهترئة، ما نسمحش بإن احنا نبقى قاعدين نتنابز بالألقاب

[٤] صحيح مسلم

[٥] صحيح مسلم

وقاعدين نسفه من بعض وقاعدين نحط من قدر بعض، هتخسر إيه لما تثني على أخوك؟ هتخسر إيه لما تثني على العمل الديني؟ هتخسري إيه لما تشوفي حاجة خير وتقولي الحمد لله ما شاء الله تبارك الله دي حاجة جميلة إن حد بيعمل كذا؟ إنك تفرحي بالخير وتفرحي بإقامة الدين حتى لو مش على ايديكِ؟

ما تتنازلوش عن الدعوة لإرضاء حد، وما تسفهوش من المسلمين على معيار إن كل واحد له دماغ معين، إن أحيانًا بيبقى فيه تضخم في المفاهيم، فيه مثالية فيه واحد عنده معيار بيحاسب الناس عليه، يعني فيه حاجة معينة هو بيعظمها؛ واحدة مثلًا بتعظم الأخلاق واحدة، بتعظم مثلًا التجويد، واحدة بتعظم الدعوة، واحدة بتعظم كتب العقيدة، واحدة بتعظم الشيخ فلان والشيخ علان، فبالتالي أصبح اللي هي بتعظمه ده بقى هو ده المعيار، فأي حد بتسمعه أو أي حد بتتكلم معاه أو أي حد بتشوفه بيشتغل في الدين بتحطه على الميزان، ينبغي أن يكون الميزان الوحي.

من المشاكل الأساسية الرئيسية التي ينبغي أن نتحاشاها مسألة المفاصلة على كل نقطة، وإن احنا نحول أي خلاف إلى عداء، وإن احنا بنتعامل بتصور مع المختلف معانا؛ انتم واحنا، ينبغي أن نتخطى الحكم على المواقف وعلى الأشخاص بمعيار الهوى إلى إن احنا نضع الشيء في موضعه بمعيار الوحي، من الأخلاق السيئة اللي بتؤدي إلى زيادة ذلك مسألة عدم الصراحة والغيبة والنميمة وعدم الوضوح، احنا محتاجين يكون عندنا صراحة، محتاجين يكون عندنا شجاعة، محتاجين يكون عندنا قوة، محتاجين يكون عندنا صدق في التعامل حتى نقيم علاقات صحيحة، محتاجين إن احنا نقف مع أنفسنا وقفة. ليه لما يبقى خمسة قاعدين في أوضة وبعدين لما يختلفوا في رأي وبعد كده واحدة تقوم الناس تجيب سيرة اللي قامت؟ يعني ليه الأربعة يجيبوا سيرة اللي قامت؟ وبعد كده لما التانية تقوم نقوم نجيب سيرة اللي قامت التانية، يبقى التلاتة يجيبوا سيرة اللي قامت، ليه الغيبة بقت منتشرة في أوساط العاملين للدين؟ هل ده صحيح؟ هل يصح ده؟ فلانة بتخطأ فلانة بتقول كذا، طب ما تواجهيها، طب ما تعلميها، طب ما تتناقشي معاها، يا جماعة لابد ندرك إمكانيات كل واحد، ولابد ندرك إن كل إنسان عنده ما يقدمه للدين، كما قال شيخ الإسلام: "الصادق يصنع الله له"، يعني مش الثغور الحياتية الدينية اللي احنا بنعملها بس، ده فيه حاجات كتير أوي في الدين ممكن تتعمل، لكن اللي بيتعمل من الدعوة أو من التربية أو من تحفيظ القرآن أو من إقامة بعض المرافق أو من بعض الأنشطة الحياتية سواء على مستوى الرسمي أو الغير الرسمي أو التطوعي أو التربحي، كل هذه الأشياء أفكار الناس بتقدر تقدمها، لكن كتير من الأمة كتير من شباب وبنات المسلمين يقدروا يقدموا للدين حاجات عظيمة كبيرة في مناحي الحياة المختلفة، ويكون له أثر عظيم عند الله -سبحانه وتعالى-.

محتاجين يبقى عندنا تصور أوسع، تصور أشمل، بلاش يبقى عندنا التصور الأشمل ده في شخصنا، يعني بلاش نحط نفسنا مكان النبي محمد -صلى الله عليه وسلم-، ليه؟ لعدة أشياء؛ من الأخطاء يا جماعة الرئيسية الأصيلة إن حد يحط نفسه مكان النبي -عليه الصلاة والسلام-، سواء كجماعة أو كدولة أو كفرد إنه يحط نفسه مكان النبي -عليه الصلاة والسلام- لعدة أشياء:

- رقم واحد إن النبي -عليه الصلاة والسلام- كان مصدر الدين الأصيل الوحيد.

- رقم اتنين إن النبي -عليه الصلاة والسلام- حقيقةً هو بأمة، يعني مفيش حد هيعرف يكون مكان النبي -عليه الصلاة والسلام-، لو الأنبياء نفسهم موجودين ما يعرفوش يعملوا اللي النبي -صلى الله عليه وسلم- عمله، ده مش معناه إن احنا ما نقتديش -عليه الصلاة والسلام-، لكن ده معناه إن احنا نقتدي بالنبي -عليه الصلاة والسلام- لكن واحنا عارفين إمكانياتنا، نقتدي بالنبي -عليه الصلاة والسلام- واحنا عارفين احنا مين والنبي -عليه الصلاة والسلام- مين، نقتدي بالنبي -عليه الصلاة والسلام- واحنا عارفين إن احنا بشر من أتباع النبي -صلى الله عليه وسلم-، احنا مش المركز اللي ينبغي أن يكون العالم كله حول هذا المركز، احنا مش الفرقان ولا آرائنا هي الفرقان ولا تصورتنا هي الفرقان ولا ثغورنا هي الفرقان إنما الفرقان هو الوحي، الفرقان هو النبي -صلى الله عليه وسلم-، الفرقان هو القرآن، "تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا" الفرقان:١، آراؤنا مش فرقان وأفكارنا مش فرقان وثغورنا مش فرقان وتصوراتنا مش فرقان

إنما نحن نجتهد في إقامة دين الله –سبحانه وتعالى–، وفي تعليم الناس دين الله –سبحانه وتعالى–، ونفرح بكل حد بيشتغل للدين، ونساعد كل حد بيشتغل للدين، وندعم كل واحد بيشتغل للدين.

ينبغي إن يكون فيه علاقات مع الناس اللي فوقنا والمشايخ اللي فوقنا، وعلاقات مع الناس أقراننا، والناس اللي شغالة في الدين في مساحات ممكن تكون نفس المساحات اللي احنا شغالين فيها أو في ثغور مختلفة، وعلاقات مع الناس اللي تحتنا والأجيال اللي جاية القادمة اللي محتاجين إن احنا نعلمها دين وننقل لها الخبرات.

يبقى احنا محتاجين نقيم علاقات مع اللي فوقنا، وعلاقات مع أقراننا والناس اللي جنبنا، وعلاقات مع الناس اللي جاية من بعدنا محتاجة تعلم دين ومحتاجة إنها تعرف دين، ومحتاجة إنها تستفيد من الأخطاء اللي احنا أخطأناها، ما يبدأوش من الأول، إن احنا نقيم علاقات قوية.

النبي –صلى الله عليه وسلم– دعا ألا يكون بأس الأمة بينهم شديدا، قال: "سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثًا، فأعْطَانِي ثِنْتَيْنِ وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً، سَأَلْتُ رَبِّي: أَنْ لا يُهْلِكَ أُمَّتِي بالسَّنَةِ فأعْطَانِيهَا، في الحديث النبي –صلى الله عليه وسلم– بيقول إيه؟ وَسَأَلْتُهُ أَنْ لا يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بيْنَهُمْ فَمَنَعَنِيهَا"[6].

مش عايزين يا جماعة إن يكون بأسنا بيننا شديد، ربنا –سبحانه وتعالى– لما مدح أصحاب النبي –عليه الصلاة والسلام– قال: "أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ" الفتح:٢٩، يعني هو شديد ولا رحيم؟ هو الاتنين، هو بيعرف امتى يبقى شديد، وامتى يبقى رحيم، هو بيعرف امتى يبقى قوي وعنده عزة، وامتى يبقى سهل ومتواضع، امتى يبقى ذليل، "أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ" المائدة:٥٤.

يقول لك لفظ الذلة ما جاش إلا لله –سبحانه وتعالى–، ربنا –سبحانه وتعالى– ذكر الذلة في القرآن غير لما تكون ذل لله –سبحانه وتعالى– على دربين: الذل في الوالدين "جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ" الإسراء:٢٤، والذل للمؤمنين، الناس اللي آمنت بالله –سبحانه وتعالى–. لكن قال: أَذِلَّةٍ عَلَى على ده لفظ استعلاء، فيقول لك إن هو هنا هو مش ذليل ذل انكسار، إنما ذليل ذل العزة ذل الدين، إن الدين هو اللي خلاه يبقى متواضع للمسلمين، هو يبقى متواضع لأهل العمل للدين، هو يبقى أخلاقه حلوة مع أهل العمل الدين، هو اللي بيتواصل معاهم، مش بيتعامل معاهم تعامل: فلان أخطأ، فلان لابد إنه يعاقب، فلان لابد إنه يُهزَّأ، فلان لابد إنه يُطرد، فلان بيتكلم في الدين ليه؟ وفلان ده بيفهم إيه؟ وعدة مفاهيم يعني من الأهمية بمكان إنها تُدَمِّر؛ مش تدمر صف تدمر أمة.

فالنبي –صلى الله عليه وسلم– دعا ألا يكون بأسهم بينهم شديد، شوفوا يا جماعة النبي –عليه الصلاة والسلام– حريص على الأمة، والنبي –عليه الصلاة والسلام– بيقول للصحابة: "وَكُونُوا عِبادَ اللهِ إخْوانًا"[7]، قال لهم خليكم علاقتكم ببعض علاقة قوية، والأحاديث في هذا والآيات في هذا كثيرة جدًا، لكن خلينا النهاردة نلقي الضوء على مسألة إن احنا مش عايزين نبعد عن الشرع، وفي تصورات العلاقات مش عايزين نتعامل بسياسة التحزب والتشيع والتفرق، عايزين نتعامل بسياسة الصف، عايزين نلقي الضوء على مفهوم الصف، عايزين نقف مع كلمة رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ، إن بين المؤمنين فيه رحمة، أهل السنة هم أرحم الخلق بالخلق، يلتمس الأعذار للناس ويعذر الناس، ده مش معناه إن انت تبقى مش حازم، ده مش معناه انك تبقى مش بتتعامل بمعيارية، ده مش معناه انك انت تسكت على الخطأ، إنما تلتمس الأعذار، إنما تعرف تعامل ازاي، إنما تعرف تفرق ما بين اللي أخطأ وهو يريد الشر وما بين اللي اجتهد ولكنه أخطأ.

كان فيه درس أعتقد في السيرة اسمه "سرية نخلة"، كنا بنتكلم فيه على أخطاء العاملين للدين، ممكن تسمعوه إن شاء الله، هو موجود على الساوند كلاود مسجل يعني.

---

[6] صحيح مسلم

[7] صحيح مسلم

ليه البأس بينهم شديد؟ شوف النبي –عليه الصلاة والسلام– يقول: "خَمْسٌ إذا ابتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وأعوذُ باللهِ أن تُدْرِكُوهُنَّ" منهم "وما لم تَحْكُمْ أئمتُهم بكتابِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ ويَتَخَيَّرُوا فيما أَنْزَلَ اللهُ إلا جعل اللهُ بأسَهم بينَهم"[٨]، عارفين ليه البأس يا جماعة بيبقى شديد؟ عارفين ليه الناس بتبقى علاقتهم ببعض علاقة فيها بأس وشدة، وهم عارفين إن الراجل ده شغال للدين بقى له عشرين سنة، والست دي شغالة بتحفظ القرآن بقالها تلاتين سنة، والأخت دي بقى لها عشرين سنة بتجري عشان تدعو الناس إلى الله، وبتحاول تقيم دين في أعمال خيرية وبترفق بالناس؟ عارفين ليه البأس بيبقى شديد؟ لأنهم تركوا الوحي وتحاكموا إلى معيارية الأفكار، بيقول لك: وما لم تَحْكُمْ أئمتُهم بكتابِ اللهِ طب هم ما بيحكموش بكتاب الله، هيعملوا إيه؟ هيتحاكموا بالأهواء، سواء الهوى الشخصي أو هوى المجتمع.

لما تحاكموا إلى كتاب الله رحموا الناس، ولما تحاكموا إلى أهوائهم وإلى آرائهم جعل الله بأسهم بينهم شديد،

محتاجين إن احنا نرجع في علاقاتنا إلى الصف، محتاجين إن احنا نجتمع مرة أخرى على الطاعة، عارفين صف الجماعة؟

تعالوا نقف وقفات بسيطة سريعة مع صف الجماعة، صف الجماعة ده مش فارق اللي واقف شاب ولا كبير ولا صغير ولا طفل، يعني هو الصف بيجي كل الناس واقفين وجوههم تجاه القبلة، كلهم وراء واحد، كلهم بيسمعوا نفس اللفظة فبيعملوا نفس الحركة، الصف بيبقى متساوي ساووا بين الصفوف وسُدُّوا الخَلَلَ، متلاصقين؛ رجل ده جنب رجل ده جنب رجل ده، بينهم وبين الصف اللي وراهم مسافة أيضًا مسافة ثابتة مستمرة، يعني هي نفس المسافة، مسافة ثابتة جدًا وواضحة جدًا، والصف اللي وراهم كذلك هم أيضًا يصلون إلى نفس القبلة.

مين في الدين بيشتغل ده؟ اللي هو بيشتغل وهو ينفع يقف في صف ويبقى اللي حواليه واقفين معاه متساويين، وكلهم عارفين الهدف الواحد.

كنا بنقول عايزين نجتمع يا جماعة، إيه الحاجة اللي نجتمع عليها؟ فقلنا يا جماعة نجتمع على الهدف الواحد، نجتمع على الوحي الواحد، نجتمع على رضا الله –سبحانه وتعالى–، نجتمع على مجمل الدين، محتاجين إن احنا نتجمع على كتاب الله –سبحانه وتعالى– وعلى سنة النبي محمد –صلى الله عليه وسلم–، محتاجين إن احنا نتجمع واحنا بنقرأ كتاب الله –سبحانه وتعالى–، قبلتنا واحدة ونبينا واحد ودييننا واحد، محتاجين نتجمع على رضا الله –سبحانه وتعالى–، على الوحي، محتاجين نتجمع على العدو الواحد، "إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا" فاطر:٦، أخوك مش عدو، أخوك لو اختلف معاك مش عدو، سواء كان الخلاف معاه خلاف سياسي، سواء الخلاف معاه خلاف اقتصادي، سواء الخلاف معاه خلاف في وجهات نظر على منصب معين، سواء الخلاف معاه خلاف على مال، هو مش عدو هو أخوك، احنا محتاجين نجعل العدو واحد، نعرف احنا بنتجمع على الهدف الواحد وعلى العدو الواحد وعلى المنطلق الواحد على المنهج الواحد.

المنهج الواحد اللي هو الوحي، إن احنا كلنا كتابنا واحد وسنة نبينا –صلى الله عليه وسلم– واحدة، بلاش يبقى عندنا تضخم في المفاهيم إن احنا نتحاكم لأهوائنا وآرائنا، بلاش يبقى عندنا تضخم في المفاهيم إن احنا نجعل شيء فوق موضعه، وإن احنا نضع أهواءنا وآراءنا وأفكارنا فوق الوحي، بلاش يبقى عندنا تضخم في المفاهيم إن احنا نخاصم ونعادي ويبقى فيه نوع من أنواع الشراسة، شراسة في المعاملة لأجل أي اختلاف، تتعجب! هو يا جماعة إيه يعني لما الناس تختلف؟ إيه المشكلة يعني؟ يعني طبيعي الناس ممكن تختلف في تصور العمل للدين، طبيعي، ليه نسفه من بعض؟ ليه يا إما الناس كلها يبقوا كذا يا إما يبقوا مبتدعة وضُلَّال؟ ليه اللي مش بيشتغل معانا يبقى ضال؟

ثم، ليه العلاقات ما بتبناش أصلًا علاقات أخوة طبيعية؟ شوفوا يا جماعة تصور النبي محمد –صلى الله عليه وسلم– لما راح المدينة، النبي –عليه الصلاة والسلام– قبل ما يطلع الغزوات وقبل ما يقيم الحروب وقبل ما يقيم الجهاد في سبيل الله –سبحانه وتعالى–، وقبل ما يبعث المهمات في إن فلان مثلًا يُعلم القرآن وفلان يكون مساعد وفلان يكون محفظ وفلان يكون داعية وفلان يكون حاكم، النبي –عليه الصلاة

[٨] صحيح الجامع

والسلام- أقام أخوة الإسلام، إن يا جماعة العلاقات بتُقام أولا قبل العمل، الأخوة وبعدين العمل؟ ولا العمل وبعدكده الأخوة تيجي؟ العلاقات بتقام قبل العمل، النبي آخى بين المهاجرين والأنصار، لما آخى بين المهاجرين الأنصار بدأ تنطلق بعد ذلك لما بقى فيه مجتمع قوي بقى فيه مجتمع متماسك بقى فيه علاقات قوية بقى فيه نفوس سوية بقى فيه أخلاق واضحة "أفْشوا السَّلامَ، وأَطعِموا الطَّعامَ، وصَلوا باللَّيلِ والناسُ نيامٌ، تَدْخُلوا الجَنَّةَ بسَلامٍ"[9]، لما بقى فيه إفشاء للسلام بقى فيه إطعام للطعام بقى فيه لين في الكلام، فيه واحد كلامه لين وفيه واحد كلامه بينتش، يعني كلامه تحس إن انت قاعد بتتكلم مع واحد هو بيرد رد نتش كده، وفيه واحد بيرد رد شديد رد غليظ، وفيه واحد رده لين سهل، وده ينبغي إن يكون بين أهل الإيمان بعضهم وبعض.

طب ما فيه أخطاء بتحصل، ماشي إيه المانع إن احنا نواجه الأخطاء؟ إيه المانع إن احنا نواجه الأخطاء بالعلم؟ إيه المانع إن احنا نقول لفلان: والله أنا مقدر إن انت بتعمل كذا وكذا وكذا ولكن فيه مخالفة شرعية؛ ربنا -سبحانه وتعالى- قال كذا، والنبي -صلى الله عليه وسلم- قال كذا، وما ينبغيش إن احنا نعمل كذا. ممكن هو يقول لك: لأ انت مش واخد بالك أنا عملت كذا عشان كذا أحيانًا، الإنسان بيختار المفسدة الأقل لإن فيه مفسدة أعظم، واحنا قاعدين بمزاجنا حلو وقاعدين بنحكم؛ بنحكم على الأبيض والأسود، لكن أحيانًا بيكون اللي خد اختيار هو خد اختيار لإن هو كان قدامه أسود وأسود أوي، كان قدامه أبيض منقط أسود وأسود فاختار الأبيض منقط أسود، هو يعلم إن فيه شر لكنه ما كنش قدامه إلا ذلك.

فهنا نقطة مهمة يا جماعة إن احنا أُمرنا إن احنا نجتمع، وأمر الأنبياء بالاجتماع، وأُمرت الأمة بالاجتماع، وأُمروا بعدم التفرق وأُمروا بعدم الاختلاف، والنبي -عليه الصلاة والسلام- بيقول: "اقْرَؤُوا القُرْآنَ ما ائْتَلَفَتْ قُلُوبُكُمْ، فإذا اخْتَلَفْتُمْ فَقُومُوا عنْه"[10]، النبي -عليه الصلاة والسلام- بيحذر يا جماعة إن احنا ما ينفعش إن احنا نختلف على القرآن، لإن لو اختلفنا على القرآن هيحصل إيه؟ هيحصل نوع من أنواع الزعل، ممكن الموضوع يتضخم عند واحد فيبدأ يحصل إيه؟ يبدأ يحول الاختلاف ده إن هو يفرق به الناس، وده من الأشياء المذمومة في الشرع، ومن الأشياء اللي النبي -عليه الصلاة والسلام- حذر منها وقال لما تكلم عن خوارج وتكلم في صفتهم وقال إن هم لم يؤتوا من قِبَل عبادتهم، دول أصحاب عبادة عظيمة جدًا، ولم يؤتوا من قبل قراءتهم للقرآن، إنما يقرأون القرآن ويحفظون القرآن أكثر من حفظ الصحابة، يدندنون بالقرآن بالليل والنهار يصنع لهم طنين، يعني تحقرون صلاتكم إلى صلاتهم وصيامكم إلى صيامهم، وقراءتكم إلى قراءتهم بيصلوا ويقرأوا ويبعيطوا في الصلاة وكل حاجة، لكن عندهم مشكلة في دماغهم، عندهم مشكلة في أفكارهم، عندهم مشكلة في تصوراتهم، إن هم جعلوا أفكارهم هي المعيار، لم يتحاكموا إلى معيار الشرع إنما جعلوا معيار الأفكار، حتى حاكموا النبي -عليه الصلاة والسلام- من أفكارهم بيقولوا للنبي -عليه الصلاة والسلام-: اعدل. تخيلوا! هو شايف العدل بدماغه. يا ابني هو أصلًا مستوى العدل هو النبي محمد -صلى الله عليه وسلم-، وأعلى درجات العدل وأعلى تطبيق للعدل في هذه الدنيا هو النبي محمد -صلى الله عليه وسلم-، لكنه هو اعتبر إن لفظ العدل في القرآن وفهمه على دماغه وبدأ يحاسب الجميع على هذا الهوى وهذا الرأي.

محتاجين يا جماعة نعيد مرة أخرى تقييم لمسألة الصف، ازاي نقيم صف بينا وبين الناس، ازاي تكون علاقة اللي شغالين في الدين علاقات متماسكة، علاقات فيها دعاء وفيها ترابط وفيها تعاضد وفيها تكامل وفيها تناصر وفيها ستر العورات وفيها نصيحة ونصيحة قوية، مش عايزين الناس لما تكون بنقول علاقة صف يعني الناس تطبل لبعض، يعني الناس لما تشوف غلط تسكت وخلاص، تقول لك لأ أصل ده مننا وده علينا، مفيش الكلام ده.

إنما ربنا -سبحانه وتعالى- قال: "عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ * أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ" عبس١:٤، ربنا -سبحانه وتعالى- بيقول في القرآن: "وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ

[9] صحيح ابن ماجه

[10] صحيح البخاري

حَاجِزِينَ" الحاقة٤٤:٤٧، تخيلوا ربنا بيقول لو النبي –عليه الصلاة والسلام– قال كلمة غلط علي "وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ"، تخيلوا ربنا –سبحانه وتعالى– بيعاتب النبي –صلى الله عليه وسلم– من فوق سبع سماوات في قرآن يُتلى إلى يوم القيامة أمام الجميع؛ أمام الكفار ويقول: "عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ * أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ".

مش معنى علاقة الصف إن احنا نسكت عن أخطاء، إنما علاقة الصف: علاقة تماسك، علاقة تناصر، علاقة تعاضد، علاقة حب، علاقة سند، علاقة ستر العورات، علاقة حب حقيقي، علاقة تعاون؛ أعين أخويا قدر استطاعتي، مش أتمنى إن العمل ده يتهدم والعمل ده يسقط ده يضيع، وأتمنى إن فلانة تضيع لإن هي مش شغالة معايا وما بتسمعش لشيختي، وأصل هي تصوراتها غير تصوراتي وأفكارها غير أفكاري، إنما نضع كل شيء في معياره، ويجعل المعيار الرئيسي اللي تتبنى به العلاقات وتتفرق عليه العلاقات ويوالى عليه ويعادى عليه هو الوحي، الوحي والوحي فقط.

محتاجين نعظم كلام الله –سبحانه وتعالى–، محتاجين نجعل الوحي في حياتنا، محتاجين نجعل الوحي في علاقتنا، النبي –عليه الصلاة والسلام– وهو بيتكلم عن المسلمين بيقول: "حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ"[11]، بيقول إن فيه ست حقوق بين أي مسلم والتاني، وتكلم عن علاقة المؤمنين اللي هي الناس اللي إيمانها اشتد وزاد والناس اللي بتشتغل في الدين والناس اللي بتجتهد للدين، المؤمنون "الذين آمَنوا باللهِ ورسولِه، ثُمَّ لم يَرْتابوا، وجاهَدوا بأموالِهم وأنفُسِهم في سبيلِ اللهِ"[12]، أولئك هم الصادقون.

لما تكلم عن علاقة الإيمان قال: "أربعون خصلة بين المؤمنين أدناهن منيحة العنز" يعني إن واحد يترك سيارته أو واحد كان زمان في العرب يدي له عنزته، العنزة دي اللي هي الخروف أو معزته يحلبها لمدة مثلًا سنة يقول له خليها عندك استفيد بها، وبعد كده لما أنا احتاجها أو لو انت استغنيت عنها ابقى هاتهالي، ده من حسن العلاقة، ربنا –سبحانه وتعالى– ذم الذين يمنعون الماعون، الماعون ده اللي هو المواعين، الحاجة اللي بيستعان بها زي الحلة، الجار بيحتاج من جاره يقول له مثلًا عايز كذا عايز كذا، الأشياء والمستلزمات البيتية الحياتية اللي الناس بتستعملها في حياتها، ده ربنا ذم الناس اللي بتمنع الماعون، فإذا كان ده مع الجيران فكيف بالعاملين للدين؟

محتاجين في هذا الزمن الذي انتشر فيه الحقد والحسد والطمع والحرص والكبر والكذب محتاجين طوفان أخوة، محتاجين طوفان من التسامح بين العاملين للدين، محتاجين طوفان من التعاون والتناصر بين العاملين للدين، محتاجين ثورة أخلاق مرة أخرى بين العاملين الدين، محتاجين يبقى نقيم صف للعاملين الدين، مش معنى إن الشيخ فلان ما درسليش إن هو مش شيخ، ومش معنى إن فلانة مش بتشتغل في نفس الحاجة اللي أنا بشتغلها إن هي ما بتعملش حاجة في الدين، ومش معنى إن فلان مش شايف الثغر اللي أنا بشتغله إن هو ما بيعملش حاجة ومالوش أي قيمة ومالوش أي لازمة، هو بيعمل إيه أصلًا؟ بلاش النظرة الضيقة للدين، الدين يا جماعة أشمل وأوسع وأكبر، الدين للعالمين، كل إنسان ممكن يشتغل في الدين على قدره، ومفيش حاجة اسمها واحد في الدين مالوش مكان، مفيش حاجة اسمها واحد في هذه الأمة مالوش وظيفة، كل إنسان يستطيع إنه يخدم دين ربنا –سبحانه وتعالى– على قدره، كل إنسان يستطيع إنه يخدم دين ربنا على موهبته، كل واحد في الحياة له لازمة، وينبغي أن نقدر ذلك وألا نحتقر أي عمل للدين، ينبغي إن تكون العلاقة بين المسلمين علاقة صف، الناس اللي شغالة للدين ينبغي إن يكون بينهم علاقات قوية، يعني بلاش يبقى العلاقة بينا وبين بعض علاقة تسفيه، أحيانًا احنا ممكن نروح لشيخ ونجد الشيخ هو ضيق أصلًا، يعني هو دماغه كده أو نروح لأخت بتشتغل في الدعوة وتكون هي دماغها كده، وده مش معناه إن ده صح، إنما عادي، احنا بنستفيد الخير اللي عنده وبنعذره هو أيضًا، ممكن هو لم يتلقى هذا المفهوم، ممكن هو ما خدش باله، ممكن يكون هو عنده تضخم في حتة معينة، مش معنى كده إن احنا نسقطه، إنما نلتمس له العذر أيضًا ونفرح بما عنده ونأخذ ما عنده من الخير، لكن لا نتابعه على مسألة التقسيمات اللي

---

[11] صحيح مسلم

[12] تخريج المسند

بقى فيها نوع من أنواع الغلو، إن انت النهاردة بقيت ممكن تقعد مع واحد بيتكلم على الشيخ فلان، بعدين فجأة تلاقيه مثلًا بيتكلم كلام يعني واحد مش عايز يذكر أسماء في الواقع يعني لكن صراحة تقول له ده بأي معيار؟ ده بمعيار الدين؟ يعني الكلام اللي انت بتقوله ده أنا عايز فعلا أناقشه، عايز أناقشه على معيار الدين، تعال كده أناقشه على معيار قال الله قال الرسول، طيب عايز أناقشه على معيار أي معيار مجتمعي، انت بتجيب الكلام ده منين؟ هو ليس له معيار إلا الهوى، واللي بيتكلم به ده ممكن يكون واحد شيخ أو واحد داعي أو واحد ملتحي أو واحد قارئ أو واحد عنده باب من أبواب العلم هو متميز فيه، لكن مش معنى إنه متميز في باب من أبواب العلم إن هو يستطيع إن هو يقيم تصورات الشرع أو إن هو يفهم تصورات الشرع.

النهاردة يا جماعة عايزين نلقي الضوء على سورة الصف وعلى مسألة الاجتماع وعلى النهي عن التفرق، وطبعا ده كتير جدًا وموجود جدًا في كتير، أنا كنت عامل بحث عن التفرق وبحث عن الاجتماع وأسباب التفرق وأسباب تفرق الأمم السابقة، أسباب تفرق اليهود عن الأنبياء وأسباب تفرق اليهود مع بعضهم البعض وأسباب تفرق النصارى وده موجود في القرآن وربنا –سبحانه وتعالى– حذرنا من سلوك هذه الطريق: "..وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ" الروم٣١:٣٢، وربنا حذرنا من طريق اليهود "فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ" المائدة:١٤، لكن ليس هذا موضعه.

لكن مهم جدًا يا جماعة إن احنا نحاول نقيم علاقات شرعية أصيلة مبنية على تصورات الشرع، محتاجين إن احنا نقف مع سورة الصف، محتاجين نقف مع حديث النبي –صلى الله عليه وسلم– في الاجتماع، ونجتهد إن احنا قدر استطاعتنا إن احنا نجتمع.

شوفوا علماء العقيدة لما يصنفوا في العقيدة يقولوا أهل السنة والجماعة، يقول لك: هم أهل السنة بس؟ يقول لك: لا لا والجماعة. يعني إيه؟ يقول لك: لأنهم التزموا الجماعة، هم حريصين على الجماعة، حريصين على إن الناس تتجمع، حريصين على إن الناس تتجمع على السنة، حريصين على إن الناس تتجمع على الحق، حريصين على إن الناس تتجمع على الوحي، حريصين إن هم يعرفوا أماكن التجمع، مش بيفرقوا الناس.

عارفين أهل البدع بيسموهم إيه؟ يسموهم أهل البدع والتفرق، أهل الأهواء والآراء، يقول لك: هم بيسموهم أهل البدع والتفرق ليه؟ يقول لك: لإن كل واحد فيهم عمل بدعة وبدأ يفرق الناس حواليها، بدأ يمتحن الناس على شيء غير الذي أمر الله –سبحانه وتعالى–، واحد بيمتحن الناس يقول له تعالى انت بتقول إيه في كذا؟ تعالى انت بتقول إيه في فلان؟ تعالى انت رأيك إيه في كذا؟ إيه يا عم اللي انت بتقوله ده؟ هو انت مالك أصلًا؟ يحط رأيه أو فكرة أو تصور معين في دماغه ويبدأ يمتحن الناس عليها، أحيانًا بيكون الرأي ده رأي سياسي، أحيانًا يكون الرأي ده رأي في مسألة شرعية معينة، أحيانًا بيكون الرأي ده في اختيار حياتي معين، أحيانًا الرأي ده بيكون في شخص معين، ويبدأ يوالي ويعادي ويفسق ويبدع ويكفر على هذا الذي يراه هو أو يعظمه هو أو يضخمه هو.

الحقيقة لما تيجي تضع الأمر في معياره حقيقي تجد إن هذه القضية برمتها هي قضية من القضايا لكنها ليست القضية الأساسية التي ينبغي أن يتفرق الناس عليها، "وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ" البينة:٤، فتفرقوا بعد بعثة النبي –صلى الله عليه وسلم– على النبي محمد –صلى الله عليه وسلم–.

حري بنا أن نقيم علاقات أصيلة، الكلام العملي يا جماعة محتاجين إن احنا ننظر إلى مجتمع العاملين للدين بأخطائهم بحلوهم ومُرِّهم، ننظر إليهم بعين مختلفة عن العين الضيقة، محتاجين إن احنا نقيم علاقة الصف، محتاجين إن احنا نقيم العلاقات قبل الأعمال، بلاش نقيم الأعمال وبعد كده نقيم العلاقات، لإن ده بيؤدي إلى إن العلاقات بتدمر لو العمل توقف، وده من الأشياء المحزنة، بلاش نصد عن سبيل الله بسوء الأخلاق وسوء المعاملات بين الناس بعضهم وبعض وبالذات في العاملين للدين، خلينا يبقى عندنا رحمة ورفق ممكن ما نعرفش نشتغل مع بعض لكن ممكن نعرف نبقى أخوة وأخوات بيننا وبين بعض علاقات طيبة، أخوة بينهم وبين بعض علاقات طيبة وأخوات بينهم وبين بعض علاقات طيبة، مش لازم عشان ما عرفتش اشتغل مع فلانة إن أنا أعاديها وأشتم فيها وأتكلم عليها، مش لازم عشان ما عرفتش اشتغل مع

فلان يكون هو عدوي، عادي جدًا إن أنا أحب له الخير، وأدعمه وأعينه لكن ما عرفتش أشتغل معاه، عادي جدًا انت ممكن أختك اللي هي نشأت معاكِ في نفس البيت وبينكم وبين بعض علاقات طيبة جدًا ما تعرفيش تشتغلي معاها، لكن بينكم وبين بعض حب وأخوة، مش لازم نربط ما بين الشغل والعلاقة، مش لازم لما نقيم علاقة تبقى العلاقة دي تبقى علاقة من منظور واحد، محتاجين نسمع بعض، محتاجين يبقى بيننا وبين بعض تماسك وتعاون وتناصر، العلاقة يا جماعة زي ما الإيمان قول وعمل واعتقاد كذلك الأخوة قول وعمل واعتقاد، محتاجين العلاقة دي يكون فيها بذل، ويكون فيها تضحية، يكون فيها إنفاق، يكون فيها كرم، يكون فيها عطاء، يكون فيها نصيحة، يكون فيها شجاعة، يكون فيها تحمل، مش إن والله العلاقة بيننا طيبة وبعدين أصل أنا محتاجة كذا، وبعدين تغيبي شهرين تلاتة وبعد كده أصل أنا محتاجة كذا، دي مش علاقة، ده مادية بحتة، ده انتفاع بحت، ولو حد عمل معاكي كده أنا أقولك تحمليه.

الناس يوم القيامة يتفاضلون عند الله –سبحانه وتعالى– ومن مواطن التفاضل العظيمة التي ينبغي إن تُلاحظ والتي نبه النبي –صلى الله عليه وسلم– عليها؛ الأخلاق، فقال: "إنَّ مِن أحبِّكم إليَّ وأقربِكُم منِّي مجلسًا يومَ القيامةِ أحاسِنُكم أخلاقًا"[١٣]، أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم. وجزاكم الله خيرًا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

[١٣] صحيح الترغيب